

المؤشر العربي



موزعين على عينات ممثلة لمجتمعات ١٤ بلدًا عربيًا، هي: موريتانيا، والمغرب، والجزائر، وتونس، ومصر، والسودان، وفلسطين، ولبنان، والأردن، والعراق، والسعودية، واليمن، والكويت، وليبيا. وقد نفذته فرقٌ بحثيةٌ مؤهلةٌ ومدربةٌ، تابعةٌ لمراكزٍ ومؤسساتٍ بحثيةٍ في البلدان المذكورة، تحت الإشراف الميداني لفريق المؤشر العربي في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

يعتمد المؤشر العربي العينة العنقودية الطبقيّة (في المستويات) المتعدّدة المراحل، المنتظمة والموزونة ذاتيًا والمتلائمة مع الحجم، في جميع الاستطلاعات التي نُفذت في البلدان الأربع عشرة. وجرى الأخذ في الاعتبار المستويات (الطبقات) التالية: الحضر والرّيف، والتقسيمات الإدارية الرئيّسة في كلِّ بلدٍ مستطلّعة آراء مواطنيه بحسب الوزن النسبي الخاص بكلِّ مستوى من مستويات جميع سكّان البلد؛ بحيث يكون لكلِّ فردٍ في كلِّ بلدٍ مستطلّع، احتمالية متساوية في أن يكون واحدًا من أفراد العينة، وبهامش خطأ يتراوح بين ± 2 و 3% في جميع البلدان التي نُفذ الاستطلاع فيها. وقد صُمّمت العينة بطريقةٍ يمكن من خلالها تحليل النتائج على أساس الأقاليم والمحافظات والتقسيمات الإدارية الرئيّسة في كلِّ مجتمعٍ من المجتمعات التي شملها الاستطلاع.

وحدة استطلاع الرأي العام هي أحد برامج المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وتعنى بالمسوح الاجتماعية والسياسية ودراسة تحولات الرأي العام في المنطقة العربية من خلال استطلاعات الرأي الممثلة للمجتمعات المدروسة وفق المعايير العلمية. وتعمل هذه الوحدة على إنجاز المؤشر العربي؛ وهو استطلاعٌ سنويٌّ ينفّذه المركز في البلدان العربية؛ بهدف الوقوف على اتجاهات الرأي العام العربي نحو مجموعةٍ من المواضيع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بما في ذلك اتجاهات الرأي العام نحو قضايا الديمقراطية وقيم المواطنة والمساواة والمشاركة المدنية والسياسية. كما يتضمّن تقييم المواطنين أوضاعهم العافية، والأوضاع العافية لبلدانهم، وتقييمهم المؤسسات الرئسيّة في هذه البلدان، والوقوف على مدى الثقة بهذه المؤسسات، واتجاهات الرأي العام نحو القطاع الخاص، ونحو المحيط العربي، والصراع العربي - الإسرائيلي.

أنجز المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات استطلاع المؤشر العربي لعام ٢٠١٤، في ١٤ بلدًا من بلدان المنطقة العربيّة، خلال الفترة الممتدّة من كانون الثاني / يناير - أيار / مايو ٢٠١٤. وقد نُفذ هذا الاستطلاع ميدانيًا، من خلال إجراء مقابلاتٍ وجاهيةٍ مع ٢١٣٢ مستجيبًا،

محمد المصري*

اتجاهات الرأي العام العربي حول روسيا

* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

نحو دول إقليمية ودولية تدخلية تقوم بأدوار داخلية في شؤون البلدان العربية.

في هذا السياق، تأتي أهمية التعرف إلى اتجاهات الرأي العام نحو روسيا، بوصفها إحدى القوى الدولية التي تقوم بدور متزايد في المنطقة العربية. وتعرض هذه الورقة تقييم السياسة الروسية في المنطقة العربية والعوامل المؤثرة في صوغ مواقف المواطنين تجاه روسيا، وإذا ما كانت هذه المواقف مشتقة من صور نمطية أو مستندة إلى مواقف ثقافية أو إلى تقييم لسياسات روسيا.

إن العلاقات العربية الروسية اليوم أكثر تعقيداً وتركيباً من علاقات دولية وإقليمية مع قوى دولية وإقليمية أخرى. فاليوم تظهر روسيا دولة أساسية في مجموعة من الملفات الساخنة في المنطقة العربية، مثل ملف العلاقات العربية الإيرانية، أو الملف السوري والعراقي واللبناني، وجزءاً أساسياً من تطورات الوضع في اليمن أو ملف أمن الخليج، إضافةً إلى دورها المتزايد في مصر. على الرغم من هذا الدور الكبير لروسيا في هذه الملفات بوصفها إحدى القوى التي لا يمكن تغييرها عن بحث هذه الملفات، فالدور الروسي هذا دور جديد في المنطقة وليس دوراً بناءً على تراكمات علاقات متميزة مع بلدان المنطقة. فروسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي انكفأت على ذاتها وبنيت سياستها الخارجية على مدار العقد الأخير من القرن العشرين، في إعادة ترتيب علاقاتها الخارجية مع الغرب والولايات المتحدة، في إطار تفكيك الأسس والمنظومة التي سادت العلاقات الدولية خلال مرحلة الحرب الباردة. وبذلك فإن مواقفها وسياساتها خلال تلك الفترة في مناطق مختلفة من العالم وفي المنطقة العربية على وجه الخصوص متقاربة مع الولايات المتحدة، بل وتتماهى معها في بعض الحالات. وفي واقع الأمر، لم تقم روسيا بالعمل على وراثة الدور السوفياتي أو المصالح السوفياتية في المنطقة، بل على العكس، قامت بالتنازل عنها خجولة وغير فعالة أو مبدعة تموضعها في إطار جديد وتزيد من قيمتها النسبية في المنطقة، مما لا شك فيه أن الدول العربية التي رأت في انهيار الاتحاد السوفياتي انتصاراً لنظام عالمي أحادي القطبية ساهم أيضاً في تهميش أي دور ممكن لروسيا. إن الدور الحالي الذي تضطلع به روسيا هو نتاج عدة تطورات، أهمها تغيير تدريجي في إستراتيجية الخارجية الروسية في ظل بوتين، وتبني سياسة خارجية أكثر تحدياً للغرب في أكثر من قضية؛ سواء كان ذلك استجابةً إلى ميلاد موجة جديدة من المشاعر الوطنية الروسية المغالية، وأحياناً المتعصبة، أو تحقيقاً لرؤية إستراتيجية جديدة قائمة على مفهوم أوراسيا. إن الانسحاب النسبي للولايات المتحدة تحت قيادة أوباما

مازال دور المواطنين والرأي العام في العلاقات الدولية موضوعاً بحثياً جديداً. والدراسات في هذا المجال محدودة وغير مؤسسة، سواء كان ذلك على الصعيد المنهجي أو على الصعيد الأكاديمي. لا يدعي أحد أن دراسات الرأي العام وأثرها في العلاقات الدولية بصفة عامة أو دور الرأي العام في السياسات الخارجية لبلد ما، هي أحد فروع البحث المكتملة العناصر. ومع ذلك فقد شهدت السنوات الخمس عشرة الماضية نقاشاً أوسع وأكثر اهتماماً بمدى دور الرأي العام في صناعة السياسات الخارجية والعوامل المؤثرة في العلاقات الدولية برمتها. إن الثورة التي أحدثتها وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من وسائل الاتصال لتصبح متاحة لجمهور واسع من المواطنين متجاوزة قيود الجغرافيا والحيز المكاني وتطوره. وسع هذا الحيز اقتصادياً واجتماعياً بالضرورة دائرة المهتمين والمناقشين وأصحاب المواقف تجاه الأحداث الدولية والإقليمية بصفة عامة والسياسات الخارجية أيضاً. ومن المتوقع أن تتسع دائرة المهتمين والمتدخلين من الرأي العام في التأثير في السياسات الخارجية. ومن المتوقع أيضاً أن تزداد حساسية صانعي السياسات الخارجية للرأي العام ومواقفه. كما أن السياسة الخارجية ومواقف الرأي العام نحوها تصبح وبصورة أكبر في كثير من البلدان النامية أداة لحشد التأييد لأنظمة الحكم القائمة بخاصة تلك الأنظمة التي لا تستند إلى شرعية ديمقراطية.

إن واحداً من أهداف المؤشر العربي الوقوف على اتجاهات الرأي العام نحو القوى الإقليمية والدولية؛ وذلك مساهمةً في تقييم توجهات السياسات الخارجية للدول العربية والتعرف إلى المحددات والمنطلقات التي تقوم بدور في مواقف الرأي العام العربي تجاه هذه الدول. بطبيعة الحال، إن التصدي لهذا الموضوع في المنطقة العربية يتسم بأهمية كبرى في ظل تعرض المنطقة لتأثير العديد من القوى الإقليمية والدولية، والتي أحياناً تتعدى أدوارها حدود الدور الذي تفترضه العلاقات الدولية لقوى إقليمية أو دولية إلى أن تصبح بعض هذه القوى أقرب إلى لاعب مزدوج الدور؛ أي قوة إقليمية وقوة محلية تنغمس في إطار ترتيب القوى المحلية وتتعامل معها وكأنها طرف داخلي. إن هذا الواقع قد تأسس بصورة ملحوظة بعيد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ ومازال يتمدد ويفرض واقعاً جديداً، بخاصة في ضوء الثورة السورية وتداعياتها. وعليه، فإن التعرف إلى آراء المواطنين في المنطقة العربية تجاه قوى دولية وإقليمية له أهميته الذاتية المرتبطة بآراء المواطنين في السياسات الخارجية ومنظومة العلاقات الإقليمية والدولية. وله أهمية مضافة؛ إذ إنه يقيّم مواقف المواطنين

الرأي العام بدور روسيا في قضايا أساسية في المنطقة، وتقييم سياساتها نحو موضوعات راهنة. كما يتضمن هذا القسم آراء المواطنين نحو الأهداف التي تسعى روسيا لتحقيقها.

إجمالاً، الرأي العام العربي هو رأي سلبي تجاه روسيا؛ إذ إن نحو نصف الرأي العام العربي يحمل وجهة نظر سلبية أو سلبية إلى حد ما تجاه روسيا. في حين قال ٣٢٪ من المستجيبين إنه ليس لديهم نظرة إيجابية أو سلبية أو أنهم "رفضوا الإجابة". تتركز الاتجاهات الإيجابية تجاه روسيا في لبنان وتونس والسودان ومصر، بينما كانت أكثر البلدان التي عبر المستجيبون فيها عن آراء سلبية هي مجتمعات اللاجئين السوريين والعراق واليمن والأردن والكويت والسعودية وليبيا.

وعلى الرغم من أن السؤال لا يتضمن أي إشارة إلى أبعاد سياسية، فإن تحليل اتجاهات الرأي العام العربي نحو روسيا بصفة عامة يُظهر أن هذا التقييم متأثر بصورة جلية بسياسات روسيا الخارجية في المنطقة؛ أي أن المواقف التي يحملها المواطن في المنطقة العربية نحو روسيا سواء كانت سلبية أو إيجابية هي مواقف غير منطلقة من تقييم روسيا لذاتها وبذاتها، وإنما تتمحور في أغلبها حول سياسات روسيا في المنطقة. إذ تعكس معظم إجابات المواطنين وبحسب مفرداتهم الخاصة أن نظرتهم السلبية تجاه روسيا هي نتيجة لعدم قبول سياستها الخارجية في المنطقة وبالذات نتيجة لمساندة نظام الأسد في سورية في مواجهة الشعب السوري (أكثر من ربع الذين لديهم موقف سلبي نحو روسيا عزوا هذا الموقف لمساندة نظام الأسد). كما فسّر الذين يحملون وجهات نظر سلبية تجاه روسيا بمواقفها المساندة للأنظمة الاستبدادية ووقوفها ضد الربيع العربي، أو نتيجة لسياسات روسيا التي تهدف إلى فرض سيطرتها على المنطقة العربية أو التدخل في الشؤون الداخلية العربية، أو نتيجة لدورها في إذكاء الانقسامات الطائفية والإثنية وعملها على تفتيت الشعوب العربية. وفسّر الذين يحملون وجهات نظر سلبية نحو روسيا نتيجة لسياساتها ضد البلدان العربية والتحالف مع أعدائها ونزعتها إلى تهديد الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة العربية. ومن المهم الإشارة إلى أن أكثر من ٥٠٪ من الذين عبروا عن مواقف سلبية نحو روسيا أكدوا أن موقفهم هذا ينطلق من حقيقة أن روسيا منحازة إلى إسرائيل وتقوم على دعمها. من المهم هنا أن نسبة المستجيبين الذين أفادوا بأن نظرتهم السلبية نحو روسيا هي نتيجة لاختلافات ثقافية أو دينية بين العرب والروس أو نتيجة لصراع ثقافي أو حضاري أو لأنهم يرفضون الثقافة الروسية، يمثلون نسبة محدودة جداً. إن نسبة ١٪ من الذين يحملون وجهات نظر سلبية نحو روسيا فسّروا ذلك بمواقف روسيا ضد الإسلام والمسلمين

ساهم في وجود أكثر من نافذة لروسيا تقوم من خلالها بدور متعظيم. ومما لا شك فيه أن الأزمات الداخلية التي شهدتها المنطقة، وبالذات في العراق وروسيا، مع دور فاعل لإيران فيها التي استطاعت إقامة تفاهات مع روسيا على مدار أكثر من عقد، ساهما في إعادة روسيا إلى المنطقة بقوة. لقد تغيّر دور روسيا في المنطقة بعد الربيع العربي تغيراً جوهرياً مع ذلك الذي قامت به قبله، وأصبحت روسيا لاعباً مهماً في العديد من الأزمات في المنطقة، وبالذات الأزمة السورية.

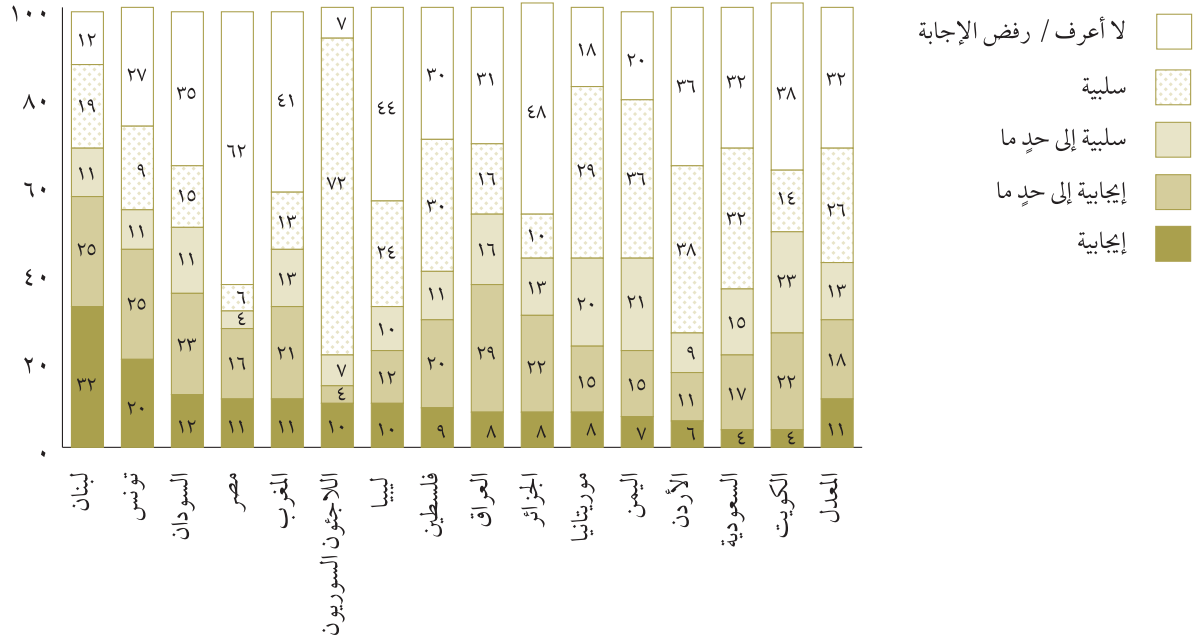
تتضمن هذه الورقة تحليلاً لاتجاهات الرأي العام في المنطقة نحو روسيا. وتتسم نظرة مواطني المنطقة العربية في هذا الموضوع بأهمية كبرى؛ في إطار أن الرأي العام من المفترض أن يمثل عاملاً مهماً في صناعة السياسات الخارجية تجاه دول بعينها، أو تجاه العلاقات الإقليمية والدولية لدولة ما. وينبغي أن يُؤخذ التعرف إلى الرأي العام في المنطقة العربية نحو روسيا ودورها المتزايد في الحسبان بوصفه أحد المحددات التي تتركز عليها علاقات البلدان العربية بها، إضافة إلى قيمة هذه العلاقات وطبيعتها ومواقع توافقها واختلافها وانفصامها. وتتناول بالتحليل أسباب مواقف الرأي العام ودوافعها، سواء كانت هذه المواقف "إيجابية" أو "سلبية". وتعتمد البيانات المعروضة في هذه الورقة أساساً، على نتائج خمسة عشر استطلاعاً نُفذها المركز العربي للأبحاث في إطار برنامج المؤشر العربي. وتعتمد جزئياً على ثمانية استطلاعات نُفذت ضمن قياس الرأي العام نحو التحالف الدولي ضد "تنظيم الدولة الإسلامية".

وتناقش هذه الورقة اتجاهات الرأي العام نحو روسيا؛ وذلك من خلال التعرف إلى وجهات نظر مواطني المنطقة العربية نحو روسيا بصفة عامة، وتقييم سياساتها الخارجية وأهداف تحقيقها، وتعرض تقييم الرأي العام بعض السياسات الروسية نحو قضايا راهنة، وتعمل على تحليل يهدف إلى معرفة الأسباب والدوافع التي تساهم في صوغ هذه التوجهات والتقييم.

اتجاهات مواطني المنطقة العربية نحو روسيا ومواقفهم

يتضمن هذا القسم من الورقة التعرف إلى آراء المواطنين العرب نحو روسيا، من خلال مؤشرات تُكوّن في مجملها صورة بانورامية لآرائهم نحوها؛ فهذا القسم يعكس آراء المواطنين نحو روسيا بصفة عامة، ثم تقييمهم السياسة الروسية في المنطقة العربية، إضافة إلى مدى اقتناع

الشكل (١)
اتجاهات الرأي العام العربي نحو روسيا



روسيا وأسباب تشكيل هذا الرأي وعوامله؛ وذلك من خلال قياس أثر التباين الثقافي والديني بين المجتمعات العربية والمجتمع الروسي، وقياس مدى ما يمثله التباين والاختلاف الثقافي بوصفهما عاملين محددتين في اتجاهات الرأي العام نحو روسيا.

على الرغم من وجود قطاع واسع من المواطنين (يمثل نحو ثلث الرأي العام) ليست لديه معرفة أو معلومات حول روسيا، فقد قيّم مواطنو المنطقة العربية روسيا ومجتمعها إيجابياً بالنسبة إلى مجموعة من القيم؛ إذ إن مواطني المنطقة العربية يرون أنّ المجتمع الروسي وصل إلى درجة متقدمة على صعيد التطور التكنولوجي، وعلى صعيد تقدير الجهد الفردي واحترام الحريات الشخصية والتزام القوانين والمساواة بين الجنسين ونزاهة القضاء فيه. ويعدّ هذا التقييم إيجابياً عند مقارنته مع تقييم المستجيبين لهذه الموضوعات نفسها في مجتمعاتهم، إذ إنهم قيّموا المجتمع الروسي بإيجابية أعلى من تلك التي في بلدانهم. لكنّ هذا النمط سرعان ما يختلف عندما يكون السؤال عن مدى التزام المجتمع الروسي الدين أو مدى تسامحه؛ إذ يرى الرأي العام العربي أنّ المجتمع الروسي في موقع متوسط على صعيد "التسامح"، وأقلّ من متوسط على صعيد "الالتزام الديني". ويرى المستجيبون أنّ مجتمعاتهم تتميز بهاتين القيمتين الاجتماعيتين أكثر ممّا يتميز بهما المجتمع الروسي.

في الشيشان. كما أنّ ٢٪ منهم رأوا روسيا دولة احتلال واستعمار انطلاقاً ممّا قامت به في أوكرانيا أو في غيرها من مناطق القفقاس.

أمّا الذين يحملون وجهات نظر إيجابية، فقد فسّروا نظرتهم الإيجابية بالعديد من العوامل، كان أهمّها أنّ روسيا تمثّل قوّة عسكرية وسياسية ذات نفوذ في العالم أو نتيجة لدعمها للبلدان العربية أو القضية الفلسطينية (بنسبة ١٠٪ من الذين قيّموا روسيا إيجابياً). كما أنّ نحو ١٢٪ من الذين قيّموا روسيا إيجابياً انطلقوا ممّا من دعمها النظام السوري أو دعمها نظام السيسي. كما أنّ نسبة جديدة بالاهتمام (نحو ١٥٪ من الذين قيّموها بإيجابية) قيّمته انطلاقاً من أنّ وجود روسيا يجعل هنالك توازناً في النظام الدولي ويكبح التفرد الأميركي، أو لأنّ روسيا لا تتدخل في الشؤون الداخلية لبعض البلدان العربية. كما أشرنا سابقاً في ما يتعلق بالأسباب التي ساقها الذين لديهم نظرة سلبية نحو روسيا؛ فالذين يحملون نظرة إيجابية تجاه روسيا فسّروا مواقفهم أيضاً انطلاقاً من المواقف السياسية لروسيا. إنّ أقلّ من ٥٪ من المواطنين الذين أفادوا بأنّ نظرتهم لروسيا إيجابية فسّروا هذا الأمر بإعجاب بروسيا أو شعبها أو ثقافتها.

على الرغم من أنّ النتائج السابقة أظهرت بصورة واضحة أنّ مواقف المواطنين العرب تجاه روسيا مرتبطة بسياساتها الخارجية؛ فقد أخذ المؤشر العربي على عاتقه التعرف إلى اتجاهات الرأي العام العربي نحو

وحسباً من الذين قيّموا السياسات الروسية بالـ "سلبية" إلى حدٍّ ما، أو الـ "إيجابية إلى حدٍّ ما".

وأما تقييم السياسة الخارجية الروسية في المنطقة من خلال نتائج الاستطلاع الثاني الذي نُفِّذ في تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٤، والذي بينه وبين الاستطلاع الأوّل نحو أربعة أشهر، فقد كان أكثر سلبيةً؛ إذ أفاد ٥٩٪ من المستجيبين بأنّها "سلبية" (٤٣٪ "سلبية"، ١٦٪ "سلبية إلى حدٍّ ما")، مقابل ٢٨٪ أفادوا بأنّها "إيجابية" (١٤٪ "إيجابية"، ١٤٪ "إيجابية إلى حدٍّ ما"). وهكذا، فإنّ الذين جزموا، على نحو واضح، بـ "سلبية" السياسات الروسية، يمثّلون ثلاثة أضعاف الذين قالوا إنّها "إيجابية".

إنّ الحدث الأكثر أهميةً الذي شهدته المنطقة ما بين تاريخي تنفيذ الاستطلاعين كان الحرب الإسرائيلية على غزة، والتدهور في سورية والعراق وهو الأمر الذي أثر تأثيراً رئيساً في تقييم السياسات الروسية. وبذلك فقد كان ثمة تحوّل في الرأي العام في تقييم السياسة الروسية في المنطقة. ومن الواضح أنّ السبب الرئيس لهذا التحوّل هو التحوّل في نسبة الذين قيّموا السياسة الأميركية بالـ "إيجابية إلى حدٍّ ما"، أو الـ "سلبية إلى حدٍّ ما"؛ إذ انخفضت نسبة هؤلاء لمصلحة الذين أفادوا بأنّها "سلبية".

أمّا على صعيد المؤشرات التفصيلية التي تقيس تقييم المواطنين السياسات الروسية في المنطقة العربية في السياق نفسه، فقد سُئل المستجيبون عن تقييم الرأي العام سياسات روسيا نحو مجموعة من الموضوعات الرئيسة والراهنّة في المنطقة العربية. ويعكس التقييم السلبي لتلك السياسات، على نحوٍ واضح، عدم الرضا عنها؛ فنسب مؤيدي سياسات روسيا ومواقفها تجاه ١٢ موضوعاً أساسياً في المنطقة هي نسب متدنية جدّاً، لا تتجاوز ربع المستجيبين في الحد الأقصى. يعارض نحو أكثر من نصف المستجيبين سياسات روسيا تجاه مجمل القضايا والموضوعات المحورية. ويشتمل هذا على معارضة سياسات روسيا نحو القضية الفلسطينية، وسياسات إسرائيل الاستيطانية، وحصار غزة وكذلك سياستها في العراق وأفغانستان، والثورة السورية، وسياساتها تجاه النظام الجديد في مصر، وكذلك سياساتها تجاه الحركات الإسلامية السلمية. ولعلّ أعلى النسب المؤيِّدة لسياسات روسيا في المنطقة على ضالّة هذه النسب وتدنّيها، تظهر في سياسات روسيا نحو القضية الفلسطينية، وهي السياسة غير الواضحة فعليّاً والمحدودة جدّاً مقارنةً مع سياسات الولايات المتحدة، وحتى بالمقارنة مع مدى الانخراط الأوروبي في تطورات هذه القضية. وقد يكون سبب وجود نسبة مرتفعة نسبياً في تقييم هذه السياسة مقارنةً بغيرها، مرتبطاً بأنّ الرأي العام العربي يرى أنّ الولايات المتحدة تتحمّل بصورة رئيسة وشبه كاملة تطورات القضية الفلسطينية وتداعياتها. ويمكن فهم أنّ جزءاً من الذين قيّموا هذه السياسة بصورة إيجابية كانوا يقيّمون مواقف تاريخية للاتحاد السوفياتي نحو القضية

وفي السياق نفسه، اختيرت مجموعة من المشكلات التي عادةً ما توصف بها المجتمعات غير العربية بصورة نمطية، وسُئل المستجيبون عن رأيهم بشأن مدى انتشارها في روسيا وفي مجتمعات المستجيبين. يرى الرأي العام العربي أنّ المجتمع الروسي يواجه مشكلات اجتماعية وثقافية؛ فهو يعاني الانحلال الأخلاقي وضعف الروابط العائلية، وتطغى عليه النزعة المادية، وتنتشر فيه الجريمة. إنّ الرأي العام العربي لا يخص مجتمع روسيا بهذه المشكلات؛ فهو يقرّ أنّ هذه المشكلات منتشرة في بلدانهم وإنّ كان بدرجة أقلّ نسبياً من انتشارها في روسيا.

إنّ عدم وجود أسس ثقافية أو دينية أو قيمية لتفسير النظرة السلبية والموقف "ضد الروسي" عند الرأي العام العربي كما أظهرته النتائج السابقة يتكرس بوضوح بوصفه أكثر إيجابية نحو الشعب الروسي عندما يكون معزول عن السياسة الخارجية الروسية؛ إذ أفادت الكتلة الأكبر من المستجيبين ونسبة ٣٦٪ بأنّ رأيهم/ نظرتهم إلى الشعب الروسي هي نظرة إيجابية. وعبر ربع المستجيبين عن أنّ رأيهم/ نظرتهم ليست إيجابية أو سلبية نحو الشعب الروسي معزول عن السياسة الخارجية الروسية، بينما قال ٢٠٪ إنّ آراءهم في الشعب الروسي آراء "سلبية" أو "سلبية إلى حدٍّ ما".

تقييم سياسة روسيا الخارجية في المنطقة العربية

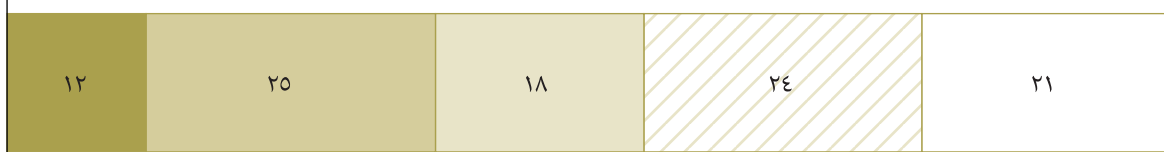
إنّ تقييم السياسة الخارجية لروسيا في المنطقة جرى قياسه من خلال عدة مؤشرات؛ الأوّل منها هو المؤشر العام الذي يقيّم السياسة الخارجية لروسيا في المنطقة العربية. أمّا المؤشرات الأخرى، فهي التي تقيّم السياسات الروسية تجاه موضوعات راهنة ومهمّة في المنطقة العربية.

أمّا على صعيد تقييم الرأي العام في المنطقة العربية تجاه السياسة الخارجية لروسيا في المنطقة بصفة عامة، فتشير النتائج إلى أنّ تقييم سياسة روسيا في المنطقة هو تقييم، في مجمله، سلبي؛ فبحسب نتائج المؤشر العربي ٢٠١٤ الذي نُفِّذ في النصف الأول من عام ٢٠١٤، أفاد ١٢٪ من المستجيبين بأنّ تلك السياسة "إيجابية". في حين كانت نسبة الذين أفادوا بأنّها "إيجابية إلى حدٍّ ما" ٢٥٪. أمّا الذين وصفوها بالـ "سلبية" والـ "سلبية إلى حدٍّ ما"، فكانت نسبتهم ٤٢٪. وبذلك فإنّ عدد الذين أفادوا بأنّ السياسة الخارجية "إيجابية" كان نصف الذين قالوا إنّها "سلبية"، بالنظر إلى أنّ من قيّموا السياسات بالـ "إيجابية" أو الـ "سلبية" هم الذين يحملون وجهات نظر أقلّ التباساً وأكثر

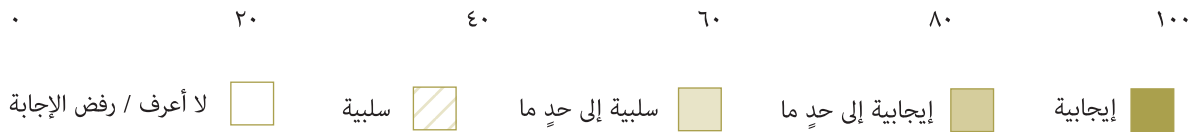
الشكل (٢)

تقييم الرأي العام للسياسة الخارجية الروسية في المنطقة العربية

استطلاع حزيران / يونيو ٢٠١٤

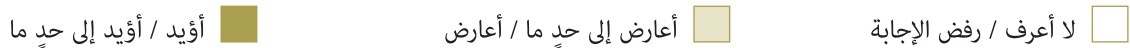
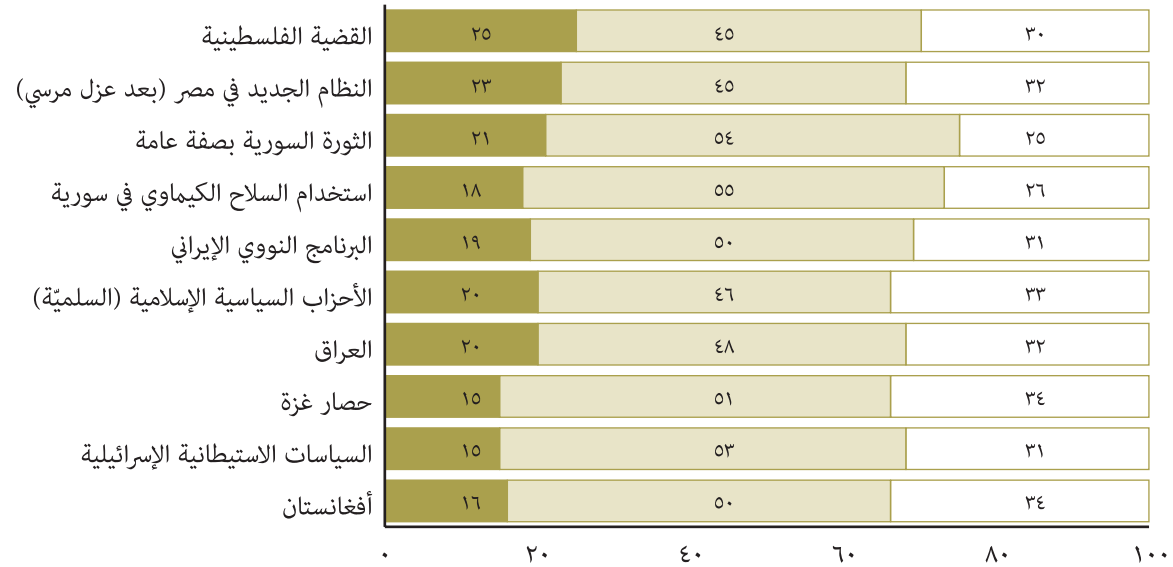


استطلاع تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٤



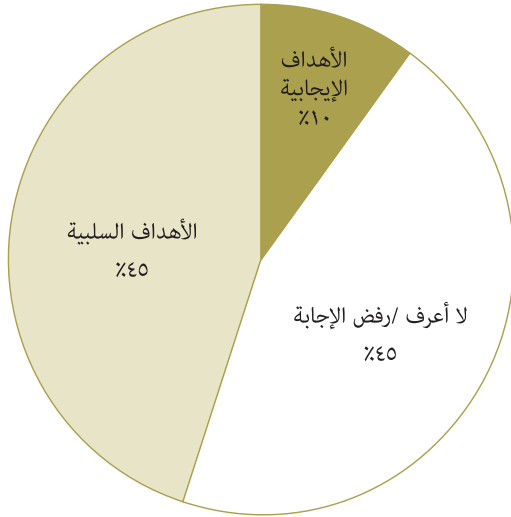
الشكل (٣)

تقييم الرأي العام للسياسات الحكومية الروسية ومواقفها تجاه قضايا محددة



الشكل (٤)

الأهداف التي تسعى روسيا لتحقيقها في المنطقة العربية



في سياق تعميق اتجاهات الرأي العام نحو سياسات روسيا في المنطقة، طُرحت على المستجيبين تسع عبارات يمكن من خلالها التعرف إلى اتجاهات رأيهم نحو الدور الذي تقوم به في العالم والمنطقة العربية. وقد جرى صوغ هذه العبارات بطريقة تعكس ما تطرحه عادةً إدارات الدول الكبرى من مبادئ وأدوار وسياسات تقوم بها في العالم والمنطقة؛ فضلاً عن ذلك، جرى صوغ مجموعة من العبارات مستوحاة مما يُطرح في النقاش العام من تصورات، وفي المنطقة العربية، بشأن ما تقوم به الدول الكبرى في المنطقة العربية، بالتقاطع مع الإشكاليات التي تواجهها المنطقة، أو التطورات الكبرى التي تجري فيها؛ مثل دور روسيا في النزاعات الطائفية والعرقية، ومواقفها من الحركات الإسلامية المتطرفة، ودورها في انتشار الفساد المالي والإداري. وسُئل المستجيبون إذا ما كان المسلمون في روسيا يحظون بجميع الحقوق التي يحظى بها غيرهم من الروس.

إنّ الرأي العام العربي، في جملته، غير مقتنع بأنّ روسيا تدعم التحوّل الديمقراطي في البلدان العربية، أو أنّها تحمي حقوق الإنسان. وإنّ أغلبية الرأي العام في المنطقة العربية غير مقتنعة بأنّها تساهم في تعزيز أمن المنطقة العربية واستقرارها.

وتعتقد أغلبية الرأي العام أنّ روسيا تعمل على فرض سياستها على بقية دول العالم، وأنّها تساهم في زيادة نفوذ الحركات الإسلامية المتطرفة، وانتشار الفساد المالي والإداري، وتغذية النزاعات الطائفية

الفلسطينية. السياسة الروسية الأخرى التي لاقت استحساناً لدى الرأي العام العربي نسبياً (إذ إنّ أكثره ضد هذه السياسة) هي الموقف من النظام المصري الذي قاده السيسي بعد عزل الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي. إنّ جزءاً غير يسير من هؤلاء جاء من بين مستجيبين مصر الذين عبّروا كما جرت الإشارة سابقاً أنّ موقفهم إيجابي أو إيجابي إلى حد ما من روسيا، نتيجة لموقفها المؤيّد للسيسي. إنّ المفردات التي استخدمها المصريون في موقفهم هذا، تعكس شحنة وطنية مرتفعة تختلط مع الشعور بأنّ روسيا كانت البلد الوحيد الذي وقف مع النظام الجديد حين تركه الجميع دولياً. ولعلّ الزيارة التي قام بها السيسي بوصفه وزير دفاع إلى روسيا وما رافقها من حملة إعلامية، تركّز على أنّ مصر في سيرورة تتغيّر تحالفاتها إلى روسيا، ساهمت في هذا الموقف الإيجابي أو الإيجابي إلى حد ما نحو روسيا. بالمحصلة النهائية، سياسات روسيا في المنطقة العربية عندما يكون السؤال تفصيلياً وحول قضايا محددة، هي سياسات سلبية في أعين المواطنين العرب.

أيّ دور تقوم به روسيا في العالم والمنطقة العربية؟

من أجل التعرف بعمق إلى اتجاهات الرأي العام نحو روسيا، سُئل المستجيبون عن أهمّ هدف تسعى روسيا لتحقيقه في المنطقة العربية من خلال صيغة السؤال المفتوح. وقد أوردوا العديد من الأهداف التي صُنّفت إلى أهداف إيجابية وأخرى سلبية. وبلغت نسبة الإجابات ذات الأهداف الإيجابية ١٠% من المستجيبين، بينما بلغت نسبة الذين قالوا إنّها سلبية ٤٥%. بالمقابل فإنّ ٤٥% من الرأي العام العربي أفادوا بأنهم لا يعرفون ما هي الأهداف التي تسعى روسيا إلى تحقيقها في المنطقة العربية. وعلى رأس الأهداف التي أشار إليها المواطنون من ضمن الأهداف السلبية هي محاولة روسيا السيطرة على المنطقة العربية وإيجاد موقع نفوذ لها في المنطقة، إضافةً إلى أنّهم يرون أنّها تهدف إلى الاستحواذ على ثروات العالم العربي واستغلالها. كما أنّ أكثر من ٥% من الرأي العام العربي يرى أنّ أهداف روسيا هي تفتيت البلدان العربية، وإثارة النزاعات الداخلية. ويرى نحو ٤% أنّ أهمّ أهدافها إنّما دعم حلفائها مثل نظام بشار الأسد أو تأييد إسرائيل ودعمها. أمّا على صعيد الأهداف الإيجابية، فقد تركّزت إنّما حول تعزيز التعاون الاقتصادي مع البلدان العربية أو مساندة البلدان العربية ودعمها، أو تحقيق الاستقرار والأمن في المنطقة.

و"السيطرة"، و"تحقيق مصالحها"، و"الإضرار بالمصالح العربية"، و"الإضرار بالشعوب العربية"، و"دعم مصالح أعداء العرب"، أو "دعم منافسيهم في المنطقة". في حين غابت مفردات ذات محتوى ثقافي أو ديني أو قيمي في تفسير النظرة السلبية. فقد كانت أعداد المفردات التي تنطلق من موقف ثقافي أو ديني محدودة للغاية، ولا تتجاوز ما نسبته أقل من ١٪ من أصل ٣٤ ألف إجابة مفتوحة.

ويقرّ الرأي العام العربي من خلال تقييمه لمجموعة من القيم، بوجود فوارق ثقافية وقيمية بين روسيا والمجتمعات العربية؛ إذ تسود في المجتمعات العربية قيم مختلفة عن نظيرتها في المجتمع الروسي، وبخاصة على صعيد الالتزام الديني والتسامح المجتمعي. وإنّ مواطني المنطقة العربية يقرّون بانتشار بعض المشكلات الاجتماعية والثقافية في روسيا، ويقرّون كذلك بانتشارها في مجتمعاتهم، ويرون أنّ المجتمعين الروسي والعربي يواجهان، بنسبٍ متقاربة جدًّا، مشكلة التعصب الديني. إنّ الاختلاف الثقافي أو استهداف الدين الإسلامي - كما اتضح ذلك سابقًا - هما عاملان غير مؤثّرين في تغذية الرأي العام "ضد روسيا"، بل إنّ الرأي العام العربي يصنّف المجتمع الروسي مجتمعًا متقدمًا في مجالات التطور التكنولوجي، والحريات الشخصية، والمساواة بين الجنسين، والتزام القوانين، وتقدير الجهد الفردي، ونزاهة القضاء.

ثمّ إنّ الاختلاف في القيم الاجتماعية والثقافية لا يمثّل أساسًا للموقف الموصوف بأته "ضد روسيا"، بل على العكس من ذلك؛ فأكثرية المواطنين العرب لديهم نظرة "إيجابية"، أو "لا إيجابية ولا سلبية"، تجاه الشعب الروسي، بغضّ النظر عن السياسة الخارجية الروسية.

إذا كانت مواقف الرأي العام العربي تجاه روسيا مرتبطةً بسياساتها في المنطقة العربية، وإذا كان الاصطلاح الصحيح لتوصيف مواقفه منها هو موقفٌ عربيٌّ ضد سياسة روسيا في المنطقة، فليس من المتوقّع أن يتغيّر الموقف السلبي تجاه روسيا، ما لم تُغيّر سياساتها الخارجية نحو المنطقة العربية، بل إنّ هذا الموقف مهيبًا لمزيد من الميل نحو السلبية في ضوء أنّ السياسة الخارجية الروسية تتمحور حول ركيزتها الأساسية من خلال الموقف الداعم نظام بشار الأسد والمساهمة الفعلية في الحفاظ عليه، سواء كان ذلك على الصعيد السياسي أو من خلال الدعم العسكري أو من خلال مواقفها في دعم أنظمة استبدادية. في ظل التوجّه الروسي إلى عدم القيام بدورٍ مساند للفلسطينيين، فليس من المتوقع أن يتغيّر الموقف من روسيا. إنّ عدم وجود معرفة عامة وواسعة بروسيا إضافةً إلى أنّ روسيا لم تستطع أن تمثل نموذجًا عالميًا للجذب والاحتذاء، فليس من المتوقع أن يجري تغيير في العوامل التي تحدد مواقف المواطنين نحو روسيا. وعليه، ليس من المتوقع أيضًا أن يتحوّل الموقف السلبي من روسيا إلى موقف إيجابي أو محايد.

والعرقية الانفصالية في البلدان العربية. ويرى نحو نصف المواطنين في المنطقة العربية أنّ روسيا تهدف إلى فرض أجندتها على الدول من خلال ما تقدّمه إليها من مساعدات. ومن المهم الإشارة إلى أنّ روسيا قُيّمت سلبًا في ما يتعلق بحظوة المسلمين في روسيا بجميع الحقوق التي يحظى بها غيرهم من الروس؛ إذ إنّ ٢٧٪ من الرأي العام أفادوا بأنهم يتمتعون بالحقوق نفسها، مقابل معارضة ٤١٪ ذلك.

خلاصة

معرفة مواطني المنطقة العربية على صعيد معرفة مستجبي المنطقة العربية بروسيا بحسب تقييمهم الذاتي لهذه المعرفة، هي معرفة محدودة جدًّا؛ فقد أفاد ١٦٪ منهم بأنهم يعرفونها معرفة جيدة جدًّا أو جيدة، مقابل ٤٠٪ قالوا إنهم يعرفونها معرفة قليلة. وأفاد ٣٦٪ من المستجيبين بأنهم يكادون لا يعرفون شيئًا عنها. وفي ظل عدم اختبار مدى معرفة المستجيبين موضوعيًا من خلال أسئلة أخرى، فإنّ مستويات معرفة الجمهور العربي بروسيا تبقى محدودة. يتمايز المستجيبون بحسب بلدانهم بمدى معرفتهم بروسيا؛ إذ تعدّ منخفضة وبصورة ملحوظة لدى المستجيبين في بلدان مثل موريتانيا، والجزائر، ومصر، والمغرب. بينما تعدّ مرتفعة في الكويت والسعودية. إنّ مصادر معرفة الرأي العام بروسيا (المجتمع، والحياة، والثقافة) متنوعة. لكنّ نحو ثلث المستجيبين أفادوا بأنّ معرفتهم جاءت من خلال وسائل الإعلام. في حين أفاد ١٧٪ بأنّها من خلال الأصدقاء والمعارف والأقارب. وإذا أخذنا في الحسبان أنّ المصدر الأساسي للأخبار لدى الرأي العام العربي هو التلفزيون، فإنّ مصادر معرفة المواطنين الرئيسة بروسيا هي وسائل إعلامية مرئية. وإنّ المعرفة الأساسية للمواطنين في المنطقة العربية هي معرفة مرتبطة بمتابعة الأخبار حول روسيا. إنّ المعرفة المتدنية بروسيا بالتأكيد مرتبطة بتراجع دورها خلال العقد اللذين سبقا الربع العربي حينما عادت روسيا لتقوم بدور محوري في إطار الأزمة السورية بالذات.

بينت النتائج السابقة أنّ أغلبية الرأي العام العربي يحمل موقفًا سلبيًا تجاه روسيا، وأنّه يوجد رأي عام يميل إلى أن يكون "ضد روسيا". إلاّ أنّه من الخطأ الفادح القول إنّ هذا الرأي هو موقف ضد روسيا على الإطلاق، بل إنّ الأصح - حتى من الناحية الاصطلاحية - أن نقول بوجود موقف عربي ضد سياسات روسيا في المنطقة العربية. يرتكز الموقف "ضد روسيا" على أسباب لها علاقة بسياساتها الخارجية في المنطقة، وبالذات في مواقفها الداعمة النظام السوري على حساب الشعب السوري، والسعي لتحقيق مصالحها على حساب مصالح البلدان العربية. وقد تمثّلت مفردات المستجيبين، في وصف أهداف روسيا في المنطقة أو تفسير موقفهم نحوها، بـ "الهيمنة"،